

وقفات إيمانية
مع اسم من أسماء
رب البرية (الرفيق)

حقوق الطبع لكل مسلم

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

دار الإمام البخاري

قطر - الدوحة

جوال: +٩٧٤٥٥٧٢٠٠٥٨

فاكس: +٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨

Email: albukharibooks@gmail.com

وقفات إيمانية
مع اسم من أسماء
رب البرية (الرقيب)

بقلم
أبي عبد الله حمزة النايبي

يقول العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللهُ : (معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العليا هي أفضل الأعمال شرفا وثمرًا). شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام (ص ١٨)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : (ولما كانت حاجة النفوس إلى معرفة ربها أعظم الحاجات ، كانت طرق معرفتهم له أعظم من طرق معرفة ما سواه ، وكان ذكرهم لأسمائه أعظم من ذكرهم لأسماء ما سواه).

درء تعارض العقل والنقل (٣/ ٣٣١)

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (الرقيب والشهيد من أسمائه الحسنى هما مترادفان ، وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات ، وبصره بالمبصرات ، وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية وهو الرقيب على ما دار في الخواطر ، وما تحركت به اللواحق ، ومن باب أولى الأفعال الظاهرة بالأركان).

الحق الواضح المبين (ص ٥٨)



مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، ونحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٦٦﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ

أَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿الأحزاب: ٧٠-٧١﴾ .

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

إن معرفة أسماء الله ﷻ الواردة في الكتاب والسنة الصحيحة وما تتضمنه من معانٍ جليلة وأسرار بديعة: لمن أعظم الأسباب التي تعين على زيادة إيمان العبد وتقوية يقينه، وعلى قدر معرفته يكون تعظيمه للباري ﷻ في قلبه .

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : (على قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب . وأعرفُ الناس به: أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا) ^(١) .

(١) مدارج السالكين (٢/٤٩٥) .

ويقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (وبحسب معرفته - أي العبد - بربه يكون إيمانه ، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه ، وكلما نقص نقص ، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك : تدبر صفاته وأسمائه من القرآن) ^(١) .

وقد نتساءل - أيها الأحبة - عن طرق تحصيل هذه المعرفة ، وكيف السبيل للوصول إليها؟

فيجبنا عن ذلك الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فيقول : (المعرفة بابان واسعان :

باب التفكير والتأمل في آيات القرآن كلها ، والفهم الخاص
عن الله ورسوله ﷺ .

والباب الثاني : التفكير في آياته المشهودة ، وتأمل حكمته فيها وقدرته ولطفه وإحسانه وعدله وقيامه بالقسط على خلقه .

وجماع ذلك : الفقه في معاني أسمائه الحسنی وجمالها

(١) تفسير السعدي (١/٢٤) .

وكمالها وتفردُه بذلك، وتعلقها بالخلق والأمر.

فيكون فقيهاً في أوامره ونواهيه، فقيهاً في قضائه وقدره، فقيهاً في أسمائه وصفاته، فقيهاً في الحكم الديني الشرعي والحكم الكوني القدري و﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١] (١).

فأسماء البارئ سبحانه الحسنى الثابتة بالكتاب والسنة ينبغي للعبد المؤمن دائماً أن يستحضرها ويتدبر معانيها. ومن هذه الأسماء الجليلة، اسمٌ يدل على عظمة الله ﷻ وإطلاعه على كل شيء، وأنه لا تخفى عليه خافية مهما كان حجمها، يعلم مكان عبده ويسمع كلامه ألا وهو اسم (الرقيب) (٢).

(١) الفوائد (ص ١٧٠).

(٢) قال ابن فارس **رَقَبَ** : الرَّاءُ وَالْقَافُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى انْتِصَابٍ لِمُرَاعَاةِ شَيْءٍ. مِنْ ذَلِكَ الرَّقِيبُ، وَهُوَ الْحَافِظُ. معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٢٧).

وقال الزجاجي **رَقَبَ** : (الرقيب: هو الحافظ الذي لا يغيب عما يحفظه). تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٥١).

إن هذا الاسم الكريم - أيها الأفاضل - ورد ذكره في القرآن الكريم ثلاث مرات، وذلك في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (أي: مطلع على العباد، في حال حركاتهم وسكونهم، وسرهم وعلنهم، وجميع الأحوال، مراقبا لهم فيها، مما يوجب مراقبته، وشدة الحياء منه، بلزوم تقواه) (١).

= ويقول الإمام ابن القيم في نونته (البيت: ٣٢٤٨):

هو الرقيب على الخواطر واللوا حظ كيف بالأفعال بالأركان
قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ: («كيف بالأفعال بالأركان»: أي أنه إذا كان الله رقيباً على دقائق الخفيات، مطلعاً على السرائر والنيات كان من باب أولى شهيداً على الظواهر والجليات، وهي الأفعال التي تُفعل بالأركان أي الجوارح). شرح القصيدة النونية للسعدي (ص ٨٩).

وقال الشيخ الفوزان حفظه الله: (الرقيب): الذي يراقب عباده ويراهم ويسمعهم ولا يخفون عليه، بل لا تخفى عليه ضمائرهم ونياتهم، لا يخفى عليه شيء من أمورهم. التعليق المختصر على القصيدة النونية (٢/ ٧٨١). (١) تفسير السعدي (ص ١٦٣).

وقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

قال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: (أي كنت الحافظ لهم، والعالم بهم والشاهد عليهم) (١).

وقال جل وعلا: ﴿وَكَانَ اللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

قال ابن العربي رَحِمَهُ اللهُ: (والمعنى المختص به هاهنا أن الله يعلم الأشياء علماً مستمراً ويحكم فيها حكماً مستقراً ويربط بعضها ببعض ربطاً ينتظم به الوجود ويصح به التكليف) (٢).

وورد في السنة أيضاً: ومنه ما جاء عند الشيخين (٣) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «إنكم محشورون إلى الله حُفَاةً، عُرَاةً، غُرْلًا» (٤)، ثم قال:

(١) فتح القدير (٢/ ٩٥). (٢) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ٦١٠).

(٣) رواه البخاري (٤٦٢٥) واللفظ له، ومسلم (٢٨٦٠).

(٤) **قال العيني رَحِمَهُ اللهُ:** (بَضَمَ الْعَيْنَ جَمْعٌ: أَعْرَلُ، وَهُوَ الْأَقْلَفُ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَخْتَنِ، وَبَقِيَتْ مَعَهُ غِرْلَتُهُ، وَهِيَ قَلْفَتُهُ، وَهِيَ الْجِلْدَةُ الَّتِي لَمْ تَقْطَعْ فِي الْحِثَانِ). عمدة القاري (١٥/ ٢٤١)

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْهَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾
 [الأنبياء: ١٠٤] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ
 يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمَ، أَلَا وَإِنَّهُ يُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي
 فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصِيحَابِي، فَيُقَالُ:
 إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بِعَدِّكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ
 عَيْسَى ابْنُ مَرْبَمَ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي
 كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]
 فَيُقَالُ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَيَّ أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ
 فَارَقْتَهُمْ» (١).

(١) قال الشيخ ابن عثيمين رحمته الله: (قوله: «إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم» تمسك به الرافضة الذين قالوا: إن الصحابة كلهم ارتدوا عن الإسلام والعباد بالله، ومنهم أبو بكر، عمر، وعثمان رضي الله عنهم، أما علي وآل البيت رضي الله عنهم فهم لم يرتدوا على زعمهم!).

ولا شك أنهم في هذا كاذبون، وأن الخلفاء الأربعة كلهم لم يحصل منهم ردة بإجماع المسلمين، وكذلك عامة أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام لم يحصل منهم ردة بإجماع المسلمين، إلا قوم من الأعراب كانوا حديثي عهد بالإسلام لما مات النبي - عليه الصلاة والسلام - افتتنوا، وارتدوا على =

.....

=أدبارهم، ومنعوا الزكاة، حتى قاتلهم الخليفة الراشد أبو بكر رضي الله عنه،
وعاد أكثرهم إلى الإسلام.

ولكن الرافضة من شدة حنقهم وبغضهم لأصحاب النبي ﷺ تمسكوا
بظاهر هذا الحديث.

أما أهل السنة والجماعة فقالوا: إن هذا الحديث عام يراد به الخاص، وما
أكثر العام الذي يراد به الخاص. فقله: «أصحابي» يعني ليسوا كلهم، بل
الذين ارتدوا على أدبارهم، لأن هكذا قيل للرسول عليه الصلاة والسلام:
«إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم». ومعلوم أن الخلفاء
الراشدين، وعامة أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، لم يرتدوا بالإجماع،
ولو قُدر أنهم ارتدوا لم يَبَيَّنْ لنا ثقة بالشرعية. ولهذا كان الطعن في الصحابة
يتضمن الطعن في شريعة الله، ويتضمن الطعن في رسول الله ﷺ،
ويتضمن الطعن بالله رب العالمين.

الذين يطعنون في الصحابة تضمن طعنهم أربعة محاذير ومنكرات عظيمة
والعياذ بالله: الطعن في الصحابة، والطعن في الشريعة، والطعن في
النبي ﷺ، والطعن في رب العالمين تبارك وتعالى، لكنهم قوم لا يفقهون
﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

أما كونه طعنًا في الشريعة: فلأن الذين نقلوا إلينا الشريعة هم الصحابة،
وإذا كانوا مرتدين، والشريعة جاءت من طريقهم، فإنها لا تقبل لأن الكافر =

= لا يقبل خبره، بل الفاسق أيضًا؛ كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِِنْ جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦].

وأما كونه طعنًا برسول الله ﷺ: فيقال: إذا كان أصحاب النبي بهذه المثابة من الكفر والفسوق، فهو طعن بالرسول ﷺ، لأن القرين على دين قرينه، وكل إنسان يعاب بقرينه إذا كان قرينه سيئًا؛ يقال: فلان ليس فيه خير؛ لأن قرناه فلان وفلان وفلان من أهل الشر. فالطعن في الأصحاب طعن بالمصاحب.

وأما كونه طعنًا بالله رب العالمين فظاهر جدًا: أن يجعل أفضل الرسالات وأعمها وأحسنها على يد هذا الرجل الذي هؤلاء أصحابه، وأيضا أن يجعل أصحاب هذا النبي الذي هو أفضل الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه مثل هؤلاء الأصحاب الذين زعمت الرافضة أنهم ارتدوا على أدبارهم. ولهذا نعتقد أن هذه فرية عظيمة على الصحابة رضوان الله عليهم، وعدوان على الله ورسوله وشريعة الله؛ ولا شك أننا نكن الحب لجميع أصحاب النبي ﷺ، ولآل النبي ﷺ المؤمنين، ونرى أن لآله المؤمنين حقين: حق الإيمان، وحق قربهم من رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، يعني إلا أن تودوا قرابتي على أحد التفاسير. والتفسير الآخر لقلوه تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ أي إلا أن تؤذوني لقرابتي منكم. وعلى كل حال، فهذا الحديث ليس فيه مطمع للرافضة في القدر في =

إن الإيمان بهذا الاسم الجليل وتدبر معانيه - أيها الأحبة -
 يُنبت في قلب العبد المؤمن ثمارا مستطابة، منها ما ينالها في
 الدار العاجلة، ومنها ما يُدخر له ليناله في الدار الآجلة بإذنه
 سبحانه وتعالى .

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (هو الرقيب : أي المطلع على
 ما في القلوب، وما حوته العوالم من الأسرار والغيوب،
 المراقب لأعمال عباده على الدوام، الذي أحصى كل شيء،
 وأحاط بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء وإن دق، الذي يعلم
 ما أسرته السرائر، من النيات الطيبة والإرادات الفاسدة .

ومن تعبد الله باسمه الرقيب أورثه ذلك المقام المستولي

= أصحاب النبي ﷺ ؛ لأنه لا يَصُدَّقُ إلا على من ارتدوا، أما من بقوا على
 الإسلام، وأجمع المسلمون على هدايتهم ودرابتهم؛ فإنهم لا يدخلون في هذا
 الحديث، ويقال: إن الذي خصص هذا الحديث إجماع المسلمين على أن
 الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لم يرتدوا، وإنما ارتدت طائفة قاتلهم أبو بكر
 الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ورجع أكثرهم إلى الإسلام. والله الموفق). شرح
 رياض الصالحين (٢/٣٠٩-٣١٢).

على جميع المقامات، وهو مقام المراقبة لله في حركاته وسكناته، لأن من علم أنه رقيب على حركات قلبه وحركات جوارحه وألفاظه السريّة والجهريّة، ناظرٌ إليه، سامع لقوله، وهو مطلعٌ على عمله كلّ وقت وكلّ لحظة وكلّ طرفة عين، واستدام هذا العلم، فإنه لا بُدَّ أن يُثمر له هذا المقام الجليل، وهذا سرٌّ عظيم من أسرار المعرفة بالله، انظروا إلى ثمراته وفوائده العظيمة وإصلاحه للشؤون الباطنة والظاهرة) (١).

فلهذا أحببت - أيها الكرام - في هذا المقام أن أذكر لكم بعض الثمرات الإيمانية المقتطفة التي يجنيها العبد المؤمن من شجرة معرفته باسم الله ﷻ (الرقيب)، منها:

ثمرات الإيمان باسم الله تعالى (الرقيب)

إن للإيمان باسم الله تعالى (الرقيب) - أيها الأفاضل - ثمرات نافعة، يقطفها العبد المؤمن فينتفع بها في دنياه وآخره

(١) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن (ص ٥٨).

بعون الله مولاه، ومن ذلك :

١- إثبات صفة المراقبة لله **كَرِيمًا** إثباتا يليق به سبحانه لا يشبهه في ذلك أحد من خلقه ولا يدانيه كما في قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فالمراقبة هي من صفات الله الذاتية وهي صفة مدح وكمال، والمخلوق لا يدرك حقيقتها لا تفكيرًا ولا تصويرًا.

إن مراقبة العبد لغيره محدودة وناقصة مهما كانت قوتها وبلغت درجاتها، بخلاف مراقبة الرب جل وعلا لعباده فهي كاملة لا يشوبها نقص ولا يعتريها ضعف، فهي عن استعلاء وفوقية، فلا تتحرك ذرة إلا بإذنه سبحانه ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ من أشجار البر والبحر، والبلدان والقفر، والدنيا والآخرة، إلا يعلمها. ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾ من حبوب الثمار

والزروع، وحبوب البذور التي يبذرها الخلق؛ وبذور النوات البرية التي ينشئ منها أصناف النباتات. ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْسٌ﴾ هذا عموم بعد خصوص ﴿إِلَّا فِي كَنْبٍ مُّيَّنٍ﴾ وهو: اللوح المحفوظ، قد حواها، واشتمل عليها.

وبعض هذا المذكور، يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته، في أوصافه كلها، وأن الخلق من أولهم إلى آخرهم لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته، لم يكن لهم قدرة، ولا وسع في ذلك، فتبارك الرب العظيم، الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد المحيط، وجلَّ من إله، لا يُحْصِي أَحَدٌ ثَنَاءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده، فهذه الآية، دلت على علمه المحيط بجميع الأشياء وكتابه المحيط، بجميع الحوادث^(١).

٢- التعبد لله سبحانه ودعاؤه باسمه الرقيب، فتعبد الله

(١) تفسير السعدي (ص ٢٥٩).

باسمه، فنقول: (عبد الرقيب)، لكن لا يُتعبد بصفاته، فلا يقال: (عبد المراقبة)، أو (عبد البصر) كما أنه يُدعى الله بأسمائه، فنقول: (يا رقيب يسر أمري)، لكن لا ندعو صفاته، فنقول: (يا مراقبة الله ارحمينا!)، فالمراقبة ليست هي الله، بل هي من صفات الله ﷻ، والصفة غير الموصوف.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (إن مسألة الله بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين) ^(١).

٣- استشعار مراقبة الله في الليل والنهار والسر والعلانية، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (فمن راقب الله في سره: حفظه الله في حركاته في سره وعلانيته. والمراقبة هي التعبّد باسمه الرقيب الحفيظ العليم السميع البصير، فمن عقل هذه الأسماء وتعبّد بمقتضاها: حصلت له المراقبة) ^(٢).

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/١٨١).

(٢) مدارج السالكين (٢/٦٦).

وباستشعار مراقبة الله ﷻ في كل وقت وحين، يجني العبد ثمارا زكية، تنفعه وترفع من درجته عند خالقه سبحانه:

**الثمار المقتطفة من استشعار
العبد من مراقبة الله ﷻ له**

١- الزيادة من الطاعات:

إن العبد كلما أحس في نفسه أن مَنْ خَلَقَهُ وأحسن إليه، يراقبه لا يخفى عليه شيء من حاله مهما كان حجمه، زادت محاسبته لنفسه بين كل فَيِّنة وأخرى، وتزود لأخراه من الطاعات، وأحسن في عمل الخيرات، يقول ابن منظور رحمته الله: (من راقب الله أحسن عمله) ^(١).

فما نجح عبد وأفلح في الدنيا والآخرة إلا بمحاسبته لنفسه وترويضها على أن من خلقها وأمرها بطاعته يراقبها في الخلوة والجلوة، وما هلك إلا بسبب عدم استشعاره لمراقبة الملك الجبار لحاله، وترك محاسبة نفسه وكفها عن هواها.

(١) لسان العرب (١٣/١١٧).

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : (وهلاك القلب من إهمال محاسبتها - أي النفس - ، ومن موافقتها واتباع هواها) ^(١) .

٢- البعد عن المحرمات :

إن العبد إذا استشعر مراقبة الباري سبحانه له اتقاه وابتعد عن معصيته خاصة في الخلوات ، لأن الذي يعصي الله ﷻ في السر حتى لا يراه الناس ، قد جعل الله أهون الناظرين إليه ، وهذا من ضعف وتعظيمه للباري سبحانه .

إن الذي يخشى من نظر الناس إليه - أيها الأفاضل - ولا يبالي بنظر الباري سبحانه له ، فيكثر بالتالي من الذنوب والمنكرات في الخلوات ، قد جعل الله ﷻ أهون الناظرين إليه ، قال تعالى : ﴿ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [النساء: ١٠٨]

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (وهذا من ضعف الإيمان ، ونقصان اليقين ، أن تكون مخافة الخلق عندهم ، أعظم من

(١) إغاثة اللفهان (١/٧٨) .

مخافة الله فيحرصون بالطرق المباحة والمحرمة، على عدم الفضيحة عند الناس، وهم مع ذلك قد بارزوا الله بالعظائم، ولم يبالوا بنظره واطلاعه عليهم، وهو معهم بالعلم في جميع أحوالهم، خصوصاً في حال تبييتهم ما لا يرضيه من القول (١).

خطر ذنوب الخلوات

إن لذنوب الخلوات أيها الأحبة عواقب وخيمة وأخطاراً جسيمة في الدنيا والآخرة، إذا لم يبادر صاحبها بالتوبة والرجوع إلى الله جلَّ وعلا، فمن أضرارها في الدنيا بغض قلوب المؤمنين له ونفرة نفوسهم عنه، فعن سالم بن أبي الجعد عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (حَدَرَ امْرُؤٌ أَنْ تُبْغِضَهُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ)، ثم قال: (أَتَدْرِي مَا هَذَا؟) قلت: لا، قال: (العبدُ يخلو بمعاصي الله عز وجل، فَيُلْقِي اللهُ بَعْضَهُ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ) (٢).

(١) تفسير السعدي (ص ٢٠٠).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (١/٢١٥).

وقال سليمان التيمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (إن الرجل ليصيب الذنب في السر فيصبحُ وعليه مذلتُه) ^(١) .

وقال ابن الجوزي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (ورأيت أقوامًا من المنتسبين إلى العلم أهملوا نظر الحق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إليهم في الخلوات ، فمحاسن ذكرهم في الجلوات ، فكانوا موجودين كالمعدومين ، لا حلاوة لرؤيتهم ، ولا قلب يحنُّ إلى لقاءهم) ^(٢) .

وأما في الآخرة فهو متوعد بعقاب أليم وعذاب شديد ، فعن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَبَاءً مَنْثُورًا» قال ثوبانُ : يا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ؟ قال : «أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا حَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا» ^(٣) .

(١) التوبة لابن أبي الدنيا (ص ٣٣٠) .

(٢) صيد الخاطر (ص ٤٣) .

(٣) رواه ابن ماجه (٤٢٤٥) ، وصححه الشيخ الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

إن ذنوب الخلوات أيها الأحبة الكرام يمكن للمرء الحريص أن يتخلص منها بعون الله ، وذلك ببذله للأسباب المعينة على ذلك بعد توفيق الباري سبحانه وتعالى له ، ومن ذلك :

■ أن يكثر من دعاء الباري سبحانه والتضرع إليه أن يصرف عنه الوقوع في الذنوب والمعاصي ويغرس في قلبه بغضها ، فالدعاء - أيها الأفاضل - من أهم الوسائل المعينة على ذلك ، إذا توفرت الشروط كصدق النية في الابتعاد عن الذنوب ، قال تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠] .

قال الإمام ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (هذا من فضله تبارك وتعالى وكرمه أنه ندب عباده إلى دعائه ، وتكفل لهم بالإجابة) ^(١) .

وقال الشيخ السعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (هذا من لطفه بعباده ، ونعمته العظيمة ، حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم ، وأمرهم بدعائه ، دعاء العبادة ، ودعاء المسألة ، ووعدهم أن يستجيب لهم ، وتوعد من استكبر عنها فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِي كَفَرَ ﴾

(١) تفسير ابن كثير (٧/١٥٣) .

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر: ٦٠] أي :
 ذليلين حقيرين ، يجتمع عليهم العذاب والإهانة ، جزاء على
 استكبارهم (١) .

■ أن يجتنب المعاصي مهما كان حجمها ، ويستحضر عند
 ارتكابها عِظَمَ من يعصي ، والوعيد الشديد الوارد في ارتكابها
 كما جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه السابق .

■ أن يتذكر عند قدرته على المعصية في السر وغياب أعين
 البشر عنه ! أن هناك من يراه ، ويعلم سره وجهره ، لا يخفى
 عليه شيء مهما كان حجمه ، فيستحي منه ويتقيه ، ألا وهو
 رب العزة ﷻ .

ولقد أحسن من قال :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوتُ ولكن قل عليّ رقيبُ
 ولا تحسبن الله يغفل ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ (٢)

(١) تفسير السعدي (١/ ٧٤٠) .

(٢) روضة العقلاء لابن حبان (ص ٢٦) .

ويعلم ويتيقن أنه سبحانه لحلمه الكامل لم يُعاجله بالعقوبة مع قدرته على ذلك، وأن في إمهاله له فرصة للرجوع والتوبة.

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعافهم ويرزقهم، كأنهم ما عصوه مع قدرته عليهم) ^(١).

■ أن يتفكر في مجيء الموت وهو في حال فعل المنكرات، وانتهاك الحرمات، فكيف سيقابل ربه عزَّ وجل يوم القيامة، ويعلم أن ذنوب الخلوات من أسباب سوء الخاتمة وأصل كل الانتكاسات، والعياذ بالله.

قال الإمام ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ : (خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنة للعبد لا يطلع عليها الناس، إما من جهة عمل سيء ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت) ^(٢).

(١) تفسير السعدي (ص ٧٩٠).

(٢) جامع العلوم والحكم (ص ٥٧).

الخاتمة

فما أوجنا أيها الكرام أن نصدق مع رب البريات، ونصلح أنفسنا في الخلوات، ونملأ قلوبنا بالخوف وتعظيم رب الأرض والسموات، فالقلب ما دام معظما للباري سبحانه وموقرا له، فإنه يظل عامرا بالإيمان واليقين، مبتعدا عن سائر المعاصي والمنكرات في الخلوات والجلوات! التي هي مصدر كل شقاء وأصل كل بلاء والعياذ بالله.

فالله أسأل بأسمائه الحسنی وصفاته العلیا أن يرزقنا وإياكم وسائر المسلمين تقواه في السر والعلانية، ويجنبنا جميعاً الذنوب والمحرمات الظاهرة والباطنة، فإن في ذلك بإذنه الله تعالى النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة،

وأن يوفقنا جميعاً لتحقيق ثمرات الإيمان بكل أسمائه تعالى الجليلة وصفاته الكريمة، فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أبو عبد الله حمزة النايلي
(الخريطات/قطر)

الفهارس العامة للكتاب

١- فهرس الآيات القرآنية .

٢- فهرس الأحاديث النبوية .

٣- فهرس الآثار .

٤- فهرس الأشعار

٥- المصادر المعتمدة .

٦- فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
	البقرة	
١٢	﴿صُمُّ بَكْمٌ عَمَىٰ فَهْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾	
	آل عمران	
٥	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾	
	النساء	
٩ ، ٥	﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾	
٢٠	﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ . . .﴾	
	المائدة	
١١ ، ١٠	﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾	
	الأنعام	
١٦	﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا . . .﴾	
	الأنبياء	
	﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا	
١١	﴿فَلْعَالِينَ﴾	

رقم الآية	الآية	الصفحة
الأحزاب		
١٠	﴿٥٢﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾	
٦-٥	﴿٧١-٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . . ﴿٧١﴾	
غافر		
٢٤ ، ٢٣	﴿٦٠﴾ اذْعُوهُنَّ اَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾	
الشورى		
١٦	﴿١١﴾ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾	
١٣	﴿٢٣﴾ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنَّا لَآلِ الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَىٰ ﴿٢٣﴾	
الحجرات		
١٣	﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴿٦﴾	
الحديد		
٨	﴿٢١﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾	



فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الصحابي	الحديث
١٠	ابن عباس	إنكم محشورون إلى الله
٢٢	ثوبان	لأعلمن أفواما من أمتي يأتون



فهرس الأثار

الصفحة	القائل	الأثر
٢٢	سليمان التيمي	إن الرجل ليصيب الذنب في السر
٢١	أبو الدرداء	حَذَرَ امْرُؤٌ أَنْ تُبْعِضَهُ قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ



فهرس الأشعار

الصفحة	القائل	البيت
٢٤	أحد العلماء	إذا ما خلوت الدهر يوما
٩	ابن القيم	هو الرقيب على الخواطر



المصادر المعتمدة

- ١- أحكام القرآن لابن العربي / ط . دار الفكر - بيروت .
- ٢- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان لابن القيم / ط . ابن الجوزي - السعودية .
- ٣- بهجة قلوب الأبرار وقررة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار للسعدي / ط . الرشد - السعودية .
- ٤- التعليق المختصر على القصيدة النونية للفوزان / إشراف عبد السلام السليمان .
- ٥- تفسير أسماء الله الحسنی للزجاج / ط . دار الثقافة العربية .
- ٦- التوبة لابن أبي الدنيا / ط . مكتبة القرآن - مصر .
- ٧- تفسير السعدي / ط . مؤسسة الرسالة .
- ٨- تفسير ابن كثير / ط . دار الفكر - بيروت .

- ٩- تلخيص كتاب الاستغاثة لابن تيمية / ط . دار ابن كثير - دمشق .
- ١٠- توضيح الكافية الشافية للسعدي / ط . ابن الجوزي - السعودية .
- ١١- جامع العلوم والحكم لابن رجب / ط . الرسالة - بيروت .
- ١٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني / ط . دار الكتاب العربي - بيروت .
- ١٣- الحق الواضح المبين للسعدي / ط . دار المعارف - السعودية .
- ١٤- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية / ط . جامعة الإمام محمد بن سعود - السعودية .
- ١٥- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان / ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

- ١٦- سنن ابن ماجة / ط . المكتبة العصرية - بيروت .
- ١٧- شجرة المعارف والأحوال للعز بن عبد السلام / ط .
دار الفكر - بيروت .
- ١٨- شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين / ط . دار
الوطن - السعودية .
- ١٩- صحيح البخاري / ط . دار ابن كثير .
- ٢٠- صحيح مسلم / ط . دار إحياء التراث العربي -
بيروت .
- ٢١- صيد الخاطر لابن الجوزي / ط . دار القلم - دمشق .
- ٢٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني / ط . دار
إحياء التراث - بيروت .
- ٢٣- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم
التفسير ، للشوكاني / ط . دار الفكر - بيروت .
- ٢٤- الفوائد لابن القيم / ط . دار الكتب العلمية - بيروت .

٢٥- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن للسعدي / ط . دار ابن الجوزي - السعودية .

٢٦- لسان العرب لابن منظور / ط . دار الصادر - بيروت .

٢٧- مدارج السالكين لابن القيم / ط . دار الكتاب العربي - بيروت .

٢٨- معجم مقاييس اللغة لابن فارس / ط . دار الجيل - بيروت .

٢٩- نونية ابن القيم / ط . مكتبة ابن تيمية - القاهرة .



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة المؤلف
١٥	ثمرات الإيمان باسم الله تعالى (الرقيب)
١٩	الثمار المقتطفة من استشعار العبد من مراقبة الله ﷻ له
١٩	١- الزيادة من الطاعات
٢٠	٢- البعد عن المحرمات
٢١	خطر ذنوب الخلوات
٢٦	الخاتمة
٢٧	الفهارس العامة للكتاب
٢٨	فهرس الآيات القرآنية
٣٠	فهرس الأحاديث النبوية
٣١	فهرس الآثار
٣٢	فهرس الأشعار
٣٣	المصادر المعتمدة
٣٧	فهرس الموضوعات

